نص في شذرات

بورخس ونساج بغداد

قاسم محمد عباس

آمال طائشة

(سأفتح هذه الخزانة حيث يختبئ دهاء نساج يدعي الخجل) ..
ليست هذه جملة من قصص بورخس ، لكنها خطوة استدرجت بها صانع الأقنعة، ليعرض لي وجهه مجردا ، فقد قلت للناس قبل عقود : " أن له وجها غير ما ترون صدقوني " ، طالبوا بإخراجي من المدينة لولا تدخل شيخ الوارقين ببغداد، فعفوا عني شرط ألا أعود للكلام عن صاحب القناع، ولما تغيرت أحوال المدينة قلت : (سأفتح هذه الخزانة حيث يختبئ النساج)، فكم كان الوجه خاليا من المعاني والتجاعيد، شعرت بالأسى لرؤية الحقيقة، لأنني وجدته خائفا بلا قناع، صامتاً يشير بأصبعه لعضلات وجهه المرتعشة، أراني أكاد أصف هذا النساج بعفوية مطلقة .
أفكر بتعاسته نساجا راوي حكايات مسروقة، فمنذ رؤيتي الأولى له وأنا أتحاشاه، منذ البدء لمست ثمة نقصاً سيشير فيما بعد لدوائر ألوانه ولحيواناته التي حنطها، والممالك التي شكك الحكماء بمبانيها وأصولها.
كنت خائفا منه، وشعرت أنه الآخر كان خائفاً مني، فهؤلاء الذين يرسمون صورا عن تقواهم وورعهم ، يخيفونني، فلا يقدرون على أن يتحدثوا عن أنفسهم كما كل العباد في بغداد، انهم يتحدثون فقط عن سماويتهم ومزاجهم. كل ما يفكرون فيه هو كيف يجعلون النساخ في سوق الوراقين ببغداد يظنون أنهم بلا أخطاء .
بادرت وقلت له : (لن أكون مثلك وأدعي أنني رأيت بورخس أو كالفينو في الحلم ، لأنني لستُ مكترثا بلقاء المشاهير، أنني فقط أشعر بالمتعة لحماقاتهم الغريبة، فحماقات العميان لاذعة وتضحكني بقوة، خاصة عندما يكون هذا الأعمى هو بورخس، هاضم ثقافات الشرق والغرب، وقارئ مكتبات الدنيا، وآكل كتب السحر والتاريخ ، الكتب التي دفعته إلى العمى، عمى العين بالطبع، فحكمته أرجنتينية، أعمى بحكمة أرجنتينية، قرأ قصص الدنيا كلها ولم تدن نفسه على واحدة منها ، أعمى بآمال مجروحة، آمال ليست طائشة كآمال نساج بغداد، حكمة بورخس صبغت بصيرته كمفكر يدرك تماماً أن الشعوب أكبر من أن تحتاج إلى نساجيها الكبار.
قرأت احدى قصصه ليلة أمس في جلسة واحدة وتذكرت سارقها، بحثت عن معنى في القصة الأصل وليست المسروقة فكان هذا المعنى (الرجال العظام هم هزل).
أجمع القصص المسروقة ، وأعرضها على بورخس، فيردد وهو جالس على كرسي في مواجهة صورة لمكتبة بوينس آيريس :
. هذا من جنس النساجين ! الرجل الذي تتملكه الآمال الطائشة يفشل في مواجهة الدكتاتور.

يوميات طبّاع يصفّ الحروف

ارسلت قصة عن الكوابيس التي راها النساج وفتراتها، قصة كتبت على عجل ومنحها النساج اسما آخر من وهمه، أرسلتها إلى صديق يتسقط آخبار النساجين وأحلامهم ومددها، وكان هذا الصديق هو من نبهني الى تقمص صاحبنا لبورخس وعماه وحكمته، وكيف أنه أخذ العمى وترك الحكمة. وكان الصباح الذي أرسلت فيه القصة مليئا بالانفجارات،فدهشت لصلافة الكوابيس وهي تذكر بالانفجارات، ومع ذلك حرصت على إرسال القصة ، لأننا نحن الطباعين نحرص كل الحرص على أنِ نؤكد على صدق الخط قبل صف الحروف، وكنا قد خبرنا الكاتب الصادق من الكاتب الأرعن، من الحروف الأولى التي نبدأ بصفها عند الغروب.
تنقلنا كثيرا بين المطابع، أحيينا كتاباً وسخرنا من نساجين، ونحن ننتقل من مطبعة إلى أخرى ، وشهدنا كل مذابح الورق الأبيض، وخبرنا مجازر الكتابة، ومحنة السلطان وهو يستقدم كتبة بغداد وما حولها، وعرفنا شعراء وقصاصين وفلاسفة، وعرفنا شيئا عن أسرار اللعب بالأفكار، وكيف يمكن للكتابة أن تسود وجوهاً، وتبيض أخرى، وعرفنا كيف أن العالم استبدل الأسلحة بحروف المطابع.

مقابلة مع نساج بغداد

جميل جدا تصورك لطابور الحكماء، ولكن من المعلوم لدى أهل بغداد أن لا مخبول في هذا الطابور، بل يذهب الناس في بغداد التي تقبض على عقلها كما الجمرة إلى أن مشكلة الطوابير هنا هي في عدم وجود مخبولين فيها ولعل عدالتك مزعومة وأنت تسبغ على المصفوفين أوصافاً تكشف عما تختزنه في روحك من رؤى، ولن أجرؤ على أن اهبط إلى مستواها، لأن بين جوانب روحي خلقا يأبى ذلك.
إن أخلاق النساجين معروفة لأهل المطابع، وسوق الوراقين فضح ما سودت من الصفحات عن جوع الناس وموتهم بدعوى انك توحي للملك أنك تتحدث عن فنون الريازة والتزجيج، فيما أنت تزوق كراسات السلطان.
وكلامك عن الشاعر الذي لا يفكر بقتلاه لا يعنيك، الشاعر الذي أبلى بلاءً حسنا وكتب عن قتلانا مرارا، فوالله ما رأيت في نومك الا اضغاثاً، وما بشرك الله برؤيا ، وانما كلمة حق يراد بها باطل، فما حككت الا جلدك، وأنت تترنم بأعطافك جذلا مسرورا، تنقل من نوم الشاعر جيثوما، يجول في قعر روحك.
فالشاعر الذي ذكرت ما ترك مقابر قتلانا خلف ظهره، انما بكاها ورثاها، وبكى مر البكاء عليها، فلا تلصق نفسك بظله، فقد تعب هو من الندب عليها، لكنه فعلها وبكى وكتب عن الذي جرى في قرى حلبجة وأبكى الناس .
أما أنت فخليط مخلوط لا قتلى لك، والدماء التي غطت أرض العراق ليست من دمك، والآلاف الذين أبادهم علي كيمياوي بالواقعة الشهيرة ليسوا من أبناء جلدتك وملتك.
فلتكن حياتك ناعمة، ولتسور دماء قتلانا نرجسيتك، فليذبح الأطفال كل يوم كي تبقى منزلة رواة السلطان محفوظة.
هل يجب أن أذكرك بقراءة التاريخ، وأدفعك لأن تعيد النظر في سيرة (سولجنستين)، أم أن ذلك الفجر الذي شهد اعدام (لوركا) ليس من التاريخ!؟
إياك أن تفهم أنني أحرض نفسي عليك، فأنت والله أضعف من ذلك، وخلقي يأبى أن أقوم بذلك،أنا أذكرك فحسب بسيرة غيلان الدمشقي، وابن أبي العوجاء والفراهيدي، أظنك لم تعرفهم؛ لأنهم ليسوا بنساجين.
أسئلة إلى النساج
بعض الشعراء يدمرون فكرة أن الشاعر لا اختيار في موقفه من دم الناس ومن التاريخ، فهو مرغم على الوقوف مع الضحية، مستأنس وهو يذبح إلى جنب المعدوم، مستعجل بفرح حلاجي، وهو يضع آخر لبنة في جدار العدل، الجدار الذي تنقصه لبنة واحدة في كل زمان ومكان، واللبنة موقف الشاعر، من مصير شعبه، موقفه من قتلاه، موقفه من غرز خنجر الدكتاتورية في قلب الله، موقف الشاعر وهو يموت مؤمنا بأنه طفل الله الأخير على هذه الأرض الغريبة، بينما يصر الشعراء الخونةقبل ميتاتهم المذلة على أن يضعوا صورة الطاغية فوق رؤوسهم حتى بعد سقوطه.
انها ببساطة فكرة معزولة واضحة تعني : (سقوط البلهوان. المثقف).
فكم مرة سيخان التاريخ والضمير ؟ بالنسبة لي لم أنجز فكرة معقولة عن المثقف في مدينتنا، إلا انني سمعت صديقاً حكيما، ولم يكن أعمى يقول : (إن المثقف كان ولم يزل وآمل الا يبقى بهلوانا في أواوين الطغاة، راوي حكايات للسلطان ، المرفه عن أبناء الوزراء، مضحك الجند ، حيث لم يكن في معلومهم شيء عن سيرة مثقف من الافرنج هو انطونيو غرامشي وأتباعه) .
وأنا إلى الآن لا أدري هل هي مصيبة أخلاقية، أم أنها من ديدن الكائن البشري!؟ لا أدري .

فضيحة النساج

بعض الأرواح قذفت من فم الرب ، وبعضها الآخر الله وحده يعلم من أين قذفت، ليس هذا من كلام مخبول في سوق الوراقين ببغداد، كما اراد أن يصفه النساج في آخر ما حاكه من الكلام وظهر في سوق الوراقين، حيث خرجت فيه كلمة أخرى من مقلمته تتهم سوق الوراقين بالخونة.
لكنما الوراقين ببغداد هم من أخبر الناس بالقواميس، لقد عرفوا أخبار الأوائل والأواخر من فقهاء وصوفية وحواة ودجالين ورواة ومدلسين ومجروحين وضعفاء. بعدما وصلت صفحات النساج للنساخ راحوا يبحثون عن معان أخرى للخيانة، علهم يفهمون ما أعجم من كلام النساج، لكنهم توصلوا إلى أن الخيانة أنماط، صامتة، وصارخة، وموارية،وعرفوا أن الخيانة لا تغطى بالتساؤلات والقصص المنحولة من العميان والطليان، ولا تغطى حتى بجولات النساج بأسواق التحنيط مدعيا علم التحنيط، وعلم الممالك والمدن والضائعة، المرئي منها والمخفي.
أراد صاحبنا أن يجمع الحكمة والعمى والحياكة في كتاب سيرته، فخبر العمى ،والنساجة وحازهما ، فيما هو لم ينل من الحكمة قسطا ذلك لأن الحكمة لا تؤخذ ، وانما تتفجر من ينابيع الأرواح الطاهرة ، وتوسل الله ان يموت بطلا، فضحك النساخون في بغداد وعم الهرج والمرج من فتنة مسروقة.
وافتضحت اسرار الحكايات التي تبين أنها وصلت إلى سوق بغداد من مجرات أخرى، انهار النساج لما علم أن الناس عرفوا أنه كان يصلي مع هذا ويأكل على مائدة ذاك.

تذكرة للنساج

إنه بؤسنا الذي يجب أن نمحوه، رثاثة تاريخنا الدموي الذي يتوجب تنظيفه في سوق الوراقين، فقر أرواح الكتبة الذي خيم زمانا على سقوف هذا السوق، هذا السوق الذي قتل من أجل تحرير طهارته الحلاج والسهروردي، وجلد من أجلها الامام ابن حنبل، وأحرقت من أجلها مخطوطات ابن رشد.
انها ربقة غطرستنا التي ستقود إلى نهايات لن تفتح، أكثر من ثلاثة عقود لم يقتل شاعر بسيف الطاغية، أو بخنجر الأعراف ، أقصد شاعرا وليس بهلوانا، أية مدينة أنتمي اليها، نحن المجاورين للصحراء التي ولد من رحمها امرؤ القيس وابن أبي الصلت وطرفة واليشكري، نحن المجاورين للجبال التي ولد من سفوحها الرومي والخيام ومثنوي وكوران.
وبين الصحراء والجبال مدينة ضائعة تعجز عن أن تدلنا على شاعر وليس بهلواناً وقف في وجه السلطان، شاعر وليس بهلوانا، أية مدينة عاقر انتمي اليها، مدينة تعلم صنع الأوهام، وعبادة الطغاة.

كشف النساخ لخلق الرواة

بعض المخلوقات تولد لتصعد ملكوت وجودها، فيأخذها مرض الزهو ، ونفسها الأمارة بالمساوئ، وتزين لها نرجسيتها أن تعمى عن قتلاها، فتولع بالاسطورة، أو تغرم بالأبراج وتواريخها، فتنسى أنها نديمة الله وشاعرته ، الباكية على قتلاه وأوليائه، هل نضع القتلى ومقابرهم خلف ظهورنا : (أنها حكمة عمياء ، ونزعة شريرة).
ان ثمة دماء لا تسكت، وستبقى تستغيث حتى يضع الرب كفه على فم صمتها، وحينما توضع تلك اليد تسقط فقرات أعناق النساجين وحدها من غير هراوة أو سيف، تتناثر قلاعهم السود.

يوم سقط الصنم وظهر الحق

لا استطيع أن اصدق أننا يمكن أن نضع قتلى المقابر خلف ظهورنا، نتجاوز خريطة موتها الممتدة من سفوان حتى العمادية.
يا لبؤسك وأنت تقول هذا، يا لبؤسك الذي أبقاك حيا وانت ترى ما رأيت.
تحليل مثل هذه الظواهر ، وحتى التي لم يظهر منها بعد ليس عصيا علي وعلى عمال المطابع وقبلهم نساخي بغداد، فالناس في سوق الوراقين بعد سقوط الصنم تحرروا، ولا يهمهم الموت، لأن العزاء العظيم لهم هو رؤيتهم للصنم وهو يسقط ليأخذ معه أشباح أتباعه ومطابعه ودراهمه .
النساخون وعمال المطابع من بعدهم تعزوا بعزاء الله، وعلموا أن كلامك ليس لعظمة قدرك، وجليل موقعك المفقودين ، وانما استصغروا ماضيهم لأنهم صدقوك، وأوهمتهم تلك الأقنعة التي ظهرت بها عبر ظهوراتك الماضية.
أما ما أردت أن توهم به الناس بكلامك عن الشاعر المنفي ، وجدت أن ما ذهب إليه خيارا شخصيا ، ربما لايحق لنا أن نحاسبه عليه، فقد قدم الرجل تاريخا لا يطال، وأثبت في المحن أنه رثى حلبجة، وبكى على ضحايا المدينة مرارا، وكتب قصيدة عن رئيس الافرنجة يدعوه فيها لتخليص الناس من الطاغوت.
رغبت أيها النساج أن أحيطك علما أنني أشعر بالأسى حينما اقرأ لك شيئا مثل الذي كتبت، فأحس أنك حطمت صورتك الكاذبة في داخلي فشكرا لأنك قتلت نفسك في قلبي وعقلي، مسحت صورة سبحانية كانت لك في عقول أجيال عدة من نساخ الزمن الماضي، ولا أدري لم قمت بذلك : هل هي عودة لهويات كانت نائمة ؟ أم غضب على التاريخ ، أم لأن قوة المحنة أبعدتك عما حصل ويحصل في بغداد، أم هو طمع بعهد جديد لم يفتح ابوابه لك؟ أم هو ادمان على دور الضحية .

انهم يقتلون أنفسهم

أن تحب شعراء مدينتك ، شيء يشبه الصلاة على الجمال، بينما يقتل بعضهم صورته المقدسة في نفوس أهل المدينة، يلطخونها بسجايا لم تكن معروفة عنهم، تكشف الوهم الذي صاغوا منه وجودهم، تدهش لكونهم لم يكونوا بالحجم الذي خصصته لهم في روحك، وتكتشف انهم لم يكونوا كبارا كما ظننت، وانما مبرد صغير تحك به جلودهم : حتى لا تستطيع أن تصدق فعلا ما تراه، كشفوا عن قلة خبرتهم، وضعفهم، وأقفلوا على أنفسهم نهاياتهم سواء عمدوها بالبطولة أم بالخوف، ارتضوا دور الضحايا الجدد في العهد الجديد، توهموا أنهم حكماء عميان، أو شعراء في حضرات أنبياء.
في مجمل الأحوال : الزمن والآفات والعدالة والحقيقة أكلتهم ، إن لم يؤكلوا أصلا.
كلام بين النساج ونساخ هارب من طابور المصفوفين
النساخ : أنا خائف مثلك
النساج : أنا خائف من قبل والآن.
النساخ : مِمَ ؟
النساج : مَن ... من ..لا استطيع أنا خائف.
النساخ : أنت أعمى ولست بحكيم .
النساج: أنا آخر العميان الحكماء .. انا ..
النساخ : يا أعمى .. الغضب قبر العقل، وأنا ظننتك عاقلا، صحيح أنك أعمى، ولكنك أوهمتني انك على حكمة مثل التي عند الحلاج والنفري وابن عربي .
النساج : ولكنك قلت لي أنك خائف مثلي، كلانا خائف يا بني!
النساخ : نعم . ولكن خوفي هو ليس خوفك، أنا أخاف يا سيدي على حريتي، فيما أنت خائف على عبوديتك.

بورخس

صدر عن (المدى)"صفيحة" للروائي الكردي التركي يشار كمال :

تصوير الصراع بين الفلاحين والإقطاع في الريف التركي

دمشق ـ ابراهيم حاج عبدي

يعتبر يشار كمال، المنحدر من أصل كردي، أحد أبرز الروائيين المعاصرين في تركيا، ولد سنة ١٩٢٣ في إحدى قرى محافظة أضنة، ترك الدراسة في المرحلة الإعدادية ليعمل في مهن كثيرة بينها عامل بناء، وناطور ماء في مزارع الأرز في منطقة تشيكوروفا إذ يتحدث عن هذه التجربة في روايته "صفيحة" التي صدرت مؤخرا عن دار المدى (دمشق ، ٢٠٠٦)

بترجمة عبد القادر عبد اللي. هاجر مطلع الخمسينيات إلى استنبول، وعمل في صحافتها، إلى أن تفرغ للكتابة في السبعينيات، رغم أن محاولاته الكتابية الأولى بدأت في العام ١٩٣٩ ، وتعتبر رواية "محمد الناحل" باكورة أعماله الأدبية، ثم تتالت أعماله، ومنها رواية "جريمة سوق الحدادين"، و"باب القلعة"، و"أسطورة جبل آغري"...وسواها من الروايات التي حققت له شهرة واسعة، ونال عنها العديد من الجوائز في تركيا وأوربا، ورشح مرارا لجائزة نوبل في الآداب.
يعده النقاد رائد ما سمي بـ"الأدب الريفي" فضلا عن اهتمامه بالفلكلور، وبالأساطير، والحكايات التراثية الشعبية، ولعل هذا الاهتمام يتبدى في رواية "صفيحة" التي تستلهم أجواءها ومناخاتها من طبيعة الحياة في الريف التركي حيث العلاقات القائمة على المكر، والخداع، والابتزاز، ومحاولات طبقة الإقطاع خرق القوانين، وإخضاع الفلاحون، بالترغيب حينا والترهيب أحيانا، في سبيل الحصول على المزيد من المكاسب والأرباح لتزداد هذه الطبقة ثراء، فيما يرزح الفلاحون تحت نير الفقر والاستعباد.
تعتبر هذه الرواية هي الثانية في مسيرة يشار كمال الإبداعية، وقد كتبها في نهاية الستينيات، وتتناول طبيعة الصراعات التي شهدها الريف التركي في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، إذ يتخذ الروائي من قرية تركية واقعة في منطقة تشيكوروفا نموذجا لتصوير الغبن الذي لحق بالفلاحين جراء الممارسات العدوانية التي كانت تقوم بها طبقة الإقطاع التي لم تكن تراعي أي مبدأ أو قانون أو عرف سوى مراعاة الشهوة العارمة إلى المال، وتكديس الثروة، والحفاظ على النفوذ.
بهذا المعنى يمكن القول ان الرواية، في خطوطها العريضة، تعيد إنتاج مقولات تلك الحكاية التقليدية الأزلية التي تظهر الصراع بين الخير والشر، غير أن يشار كمال يمنح لروايته خصوصية تجعلها مختلفة عن تلك الحكايات التي صورتها الفنون المختلفة في ثقافات الشعوب، فالروائي هنا يسعى إلى التقاط خصوصية البيئة التركية بمفرداتها، ولغتها، وروحها متوسلا سردا ينتمي إلى ما يمكن تسميته "الكوميديا السوداء" القائمة على المفارقات، عبر وصف شديد الالتصاق بالواقع، وحوار خال من التزيين والتنقيح، وشخصيات مرسومة في قالب خاص لا يمكن العثور عليها إلا على ذلك المسرح التركي الحزين الذي يختاره يشار كمال مكانا لأحداث الرواية.
يقدم يشار كمال حكايته دون تعقيد، وهو يبتعد عن كل ما يعيق سلاسة السرد. تقول الحكاية ان رسول أفندي الضئيل الحجم، ذا الوجه الطفولي المرح، هو قائممقام، بالوكالة، في القرية التركية الأناضولية "صاطلي درة"، وهو يرفض بشدة، رغم التهديد والوعيد من الآغوات، منح التراخيص لزارعي الأرز في المنطقة، ذلك أن زراعة الأرز مخالفة للقانون لأنها تسبب مرض الملاريا المميت، وبينما يستمر في موقفه الرافض، ويعيش في قلق حول أجواء بيته الجميل الذي فرغ من بنائه للتو إلى حداد مقيم، تصل الأخبار بتعيين قائممقام جديد للقرية، هو فكرت إرمقلي.
يتنفس الآغوات الصعداء، وتبدأ الاستعدادات لاستقباله، إذ أمر مرتضى آغا باختيار أجمل بيت في القرية للقائممقام الجديد، ويذهب الوفد المؤلف من الإقطاع والآغوات لاستقباله بغرض استمالته منذ البداية، ليوقع فيما بعد على تراخيص للسماح بزراعة الأرز، وفعلا تقدم إليه الطلبات في اليوم الأول، فيوقع عليها غير مدرك خطورة ما يفعل، خصوصا بعد ما رأى من استقبال حافل وحاشد، وسمع مديحا ترك وقعا طيبا في نفسه. هو شاب تخرج حديثا، ولا يعلم ألاعيب هؤلاء الآغوات، ولم يقرأ قانون زراعة الأرز، ويجهل الكثير من مشاكل الأرياف وخبث الإقطاع، ومن بين التراخيص التي منحها، ترخيص للآغا اوقتشو اوغلو صاحب اكبر مساحة لزراعة الأرز في القرية.
وسرعان ما ينشب الصراع بين القرويين الفلاحين الفقراء، وبين الآغا الذي حصل على الترخيص وبدأ بالري، لتقوم قيامة القرية عند منتصف الليل "الكلاب تنبح، والحمير تنهق، والخيول تصهل، والعجول تخور، والناس يتصايحون. كأنها نهاية زلزال"، فيضطر رسول أفندي إلى إخبار القائممقام الشاب بان ما اقدم عليه يخالف القانون، فيعيد من جديد قراءة قانون زراعة الأرز، ويكتشف المصيدة التي أوقعه فيها الآغوات، ليقف إلى جانب الفلاحين ضد الإقطاع، وتقوم ثورة في القرية ضد الآغا، بقيادة المرأة زينو، ومحمد علي الكردي، غير أن اوقتشو اوغلو يستخدم كل نفوذه ويقنع أهل القرية بشراء أراضيهم وممتلكاتهم شريطة أن يهجروا القرية كي يقدم تقريرا للقائمقام يقول فيه ان القرية مهجورة ويحق له إرواء محصوله.
محمد علي الكردي يرفض إغراءات الآغا الأمر الذي يجعل من التقرير غير دقيق، فهناك سكان، وإن اقتصروا على محمد علي الكردي وأسرته، لا يزالون يسكنون القرية، وعندما تفشل جميع المحاولات يلجأ الاغوات إلى السلطات العليا في أنقرة مستخدمين النفوذ والرشاوى للحصول على ما يريدون، وفعلا تنتصر السلطات لطبقة الإقطاع، وتأمر بنقل القائممقام الذي يقول لرسول أفندي رغم هزيمته "يجب ألا نيأس...الكفاح حتى النهاية"، وحين يستقل القائممقام سيارة لمغادرة القرية يجد عددا كبيرا من الأطفال، يحمل كل واحد منهم صفيحة، ويقرع بها بكل قوته، فالعادة، في تلك القرية البائسة، توديع الآمرين بهذه الطريقة المهينة. لكن عزاء القائممقام المكلوم، جاء من أحد القرويين، هو محمد علي الكردي، الذي ودعه بصدق متمنيا له السلامة، ليعيد إلى شفتي القائممقام، وذاكرته السيمفونية التاسعة لبيتهوفن التي اعتاد أن يصفر بها، لتنتهي الرواية عند هذه النهاية المفتوحة على احتمالات شتى، لعل أكثرها ترجيحا، تنبئ بثورة قادمة سيقوم بها الفلاحون ضد الإقطاع.
يروي يشار كمال، الذي يلعب دور الراوي، حكايته بضمير الغائب، وهو يستخدم في كثير من الأحيان الفعل المضارع ليمنح الحدث حيوية، وحضورا اكثر، وهو هنا يكشف عن إحدى اعقد المشكلات التي عاشها الريف التركي خلال فترة طويلة سابقة، منتقدا تلك العلاقة المتينة، والمشبوهة التي ربطت بين الإقطاع والمسؤولين الكبار، القائمة على أساس المصالح، والمجحفة بحق القرويين البسطاء.
تتميز الرواية بتلك النبرة التهكمية القاسية التي تفضح النزعات الأنانية لدى طبقة الإقطاع، وذلك بالتوازي مع نبرة حزينة، مؤثرة، تسلط الضوء، من جانب آخر، على معاناة القرويين الفقراء الباحثين، فحسب، عن حياة آمنة، مستقرة، ولا يخفى على القارئ انحياز يشار كمال إلى جانب هؤلاء البسطاء، إذ يتمتع بنزعة إنسانية رفيعة تندد بالقهر والظلم، وتسعى إلى الانتصار لشريحة فقيرة، معدومة تبحث عن الاطمئنان وسط جشع الآغوات، وسطوتهم الثقيلة، فهو ينتشل تلك الطبقة الفقيرة المسحوقة من قاع الريف التركي، ليضعها في متن عمله الروائي، وليتيح لها منبرا للبوح والشكوى، والاحتجاج طالما تعجز، هذه الطبقة المقموعة، عن فعل ذلك على أرض الواقع.
تظهر الرواية براعة يشار كمال في تصوير البيئة التي يتحدث عنها بكل صخبها، وخوفها، وعنفها، وأحلامها، وآلامها، ورغم لغته ومفرداته الغارقة في المحلية، والملتصقة برقعة جغرافية ضيقة، لكن يشار كمال يرتقي بهذا المكان فنيا، وجماليا عبر أسلوب واقعي دون ابتذال. فكل ما يفعله يشار كمال هو انه يدون بصدق، ويختار من الكلام والوصف والحوار ما يسهم في إغناء حكايته، والتركيز على تلك التفاصيل التي تمنح الحكاية تفردا، وتميزا، موظفا، خلال ذلك، خبراته ومشاهداته، وتجاربه في ذلك الفضاء الروائي العذب الذي ينتمي إليه يشار كمال، إذ راقب، بعينه الخبيرة، في سنوات الطفولة والصبا البعيدة، ما يحدث في محيطه من صراعات، ومصادمات، وراح يسجلها في ذاكرته المتقدة، التي تستعيد، الآن، تلك التفاصيل، وتدونها، بلغة سهلة، رشيقة نابعة من الوجدان، ومن أغوار النفس التي خبرت المحن، والأوجاع، ولم تجد العزاء سوى في كلمات تأتي على شكل رواية عذبة، وشفافة.

ترتيلة الى ايزابيل ايبرهارد

المطربة النيويوركية باتي سميث

ترجمة : اميلي كوترل

يلزمني قصر عامر برجال
يضجون بشتى ضروب الإيقاعات
ذلك ان عمودي الفقري جد شبق .
أحتضن الريح والرمل والعوالم
متجهة نحو أكثر الأمكنة دفئا.
عبر روحي يمور المشفى الحزين
انني أتهاوى
ثمة وسائد.. بقع جلدية
انني أعارض كل نمط
أخلط المهدئات والخمور
أمزج مسكنات أخرى
سجائر..لوالب متموجة تحت أحزمة..
يلزمني قصر عامر بالحكمة
وفيما ينزف دم الجندب
ينز الزمن قطرة قطرة
الجرح على شاكلة هلال.
في حياة سابقة قدمت شكوى لقصر الآلهة
ضربت على العنق.
العبء الثقيل.. شرارة الأوثان.
لهيب الأوثان يتماوج في رؤوس الآلهة
يذوي في سيف قلوب رحبة وأياد متناثرة
فيما نجري كأداة صلة.

انفصلتُ عن القافلة كي أرتمي تحت قدميك
أتحين فرصة لقائك في عمق الجسد
آخر ما سأراه هو نظرتك في.
برهة وقت منسابة ورائحة منفرة
ذلك كي أتنقل من العدم
وأنا غارقة في وجودي السالف.
متمسكة بطبق ذهبي
خط قراني من نجوم.
يلزمني قارب يسرح بي فوق مياه رافد اصفر
قصر صلاة ورنين ناقوس .
ايزابيل ❖ ترتيلة فتاة
قيثارة غرقت في الصحراء
كانت مشرنقة باسمها
مرتدية شراشف من نسيج يدها اللطيفة.

أمواج مسلمين
الكلمة الأخيرة: الإسلام أنا
التهمني يارب.